



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

تحليل سياسات | 13 أيلول / سبتمبر، 2023

انقلابات الساحل: الأسباب الداخلية وتأثيرات التنافس الدولي

محمد طيفوري - صهيب محمود

انقلابات الساحل: الأسباب الداخلية وتأثيرات التنافس الدولي

سلسلة: تحليل سياسات

13 أيلول / سبتمبر، 2023

محمد طيفوري - صهيب محمود

محمد طيفوري

أستاذ بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية المحمدية، جامعة الحسن الثاني، المملكة المغربية.

صهيب محمود

كاتب وباحث، حاصل على الماجستير في العلوم الاجتماعية والإنسانية من معهد الدوحة للدراسات العليا، مهتم بالدراسات الأفريقية.

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2023

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحققها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الظعائن، قطر

هاتف: + 974 40354111

www.dohainstitute.org

المحتويات

1	مقدمة
1	أولاً: انقلابات الساحل: مقاربات وأنماط
1	1. الانقلابات العسكرية
3	2. الانقلابات الدستورية
4	ثانياً: نقاط الاختلاف والتشابه بين انقلابات الساحل
6	ثالثاً: الأسباب الداخلية للانقلابات: حالة النيجر أنموذجاً
7	رابعاً: سياقات التنافس الدولي لانقلابات الساحل
8	خامساً: ظهور روسيا والصين كلاعبين دوليين في الساحل
9	سادساً: مستقبل المنطقة في ظل تكرار الانقلابات العسكرية
10	خاتمة

مقدمة

شهدت منطقة الساحل الأفريقي، خلال السنوات الثلاث الأخيرة، موجة انقلابات، شملت سبع دول على طول الساحل الممتد من غينيا على المحيط الأطلسي، إلى السودان على البحر الأحمر. نجحت منها خمسة انقلابات عسكرية في كل من: مالي وبوركينا فاسو وغينيا والنيجر والغابون، وشهدت ثلاث دول أخرى انقلابات دستورية، هي: تونس وتشاد والسودان، وخلال الفترة نفسها تقريباً، أُحبطت محاولات انقلابية في غامبيا وجمهورية أفريقيا الوسطى وسيراليون وجزيرة ساو تومي وبرينسيب.

تتعدد دوافع تلك الانقلابات وظروفها، حيث يتهم الانقلابيون الأنظمة الحاكمة بالفساد وسوء الإدارة الاقتصادية، والإخفاق في مواجهة الحركات المسلحة؛ بشقيها الانفصالي والجهادي، التي تشكل تحدياً إضافياً للدول في تلك المنطقة. كما يشير تفاوت ردات الفعل الدولية تجاه هذه الانقلابات، إلى تعقيدات التنافس الإقليمي والدولي المحتمل بين القوى الكبرى الفاعلة هناك. ففرنسا والولايات المتحدة، بدرجة أقل، تتمسك بدعم الحكومات المنتخبة في البلدان التي واجهت انقلابات لأسباب لا علاقة لها بدعم الديمقراطية، بل بتوافق السلطات المعزولة مع مصالحها. فيما وجد لاعبون دوليون آخرون، في مقدمهم روسيا، فرصة لتعزيز نفوذهم من خلال دعم الأنظمة والوجوه الجديدة في السلطة، مستغلة موجة السخط المتنامية بين شعوب المنطقة ضد المعسكر الغربي.

أولاً: انقلابات الساحل: مقاربات وأنماط

يمكن تقسيم الانقلابات التي شهدتها المنطقة إلى قسمين رئيسيين:

1. الانقلابات العسكرية

تُعدّ الانقلابات العسكرية نمطاً مألوفاً للتغيير في أفريقيا؛ ومع أن وتيرتها تراجعت في بداية الألفية الحالية، فإن السنوات الثلاث الماضية شهدت عودة الظاهرة من جديد¹. فقد شهدت جمهورية مالي انقلابين في عامي 2020 و2021. أطاح الأول الرئيس أبو بكر كيتا، في 18 آب/ أغسطس 2020، وقاده الكولونيل أسيمي غويتا (40 عامًا)، حيث اتُهم الرئيس المخلوع بالإخفاق في «معالجة تدهور الوضع الأمني وتفشي الفساد». لكن ضغوط الاتحاد الأفريقي والمجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا (إيكواس)، أجبرت المجلس العسكري الحاكم في باماكو على قبول حكومة انتقالية، يقودها مدنيون أو عسكريون متقاعدون، لمدة أقصاها 12 شهرًا، ضمن اتفاقية ترمي إلى إجراء انتخابات عامة في آجال «معقولة»².

وقد أصبح وزير الدفاع السابق، الكولونيل المتقاعد باه نداو رئيساً للدولة في 25 أيلول/ سبتمبر 2020، لكنه اصطدم على الفور بالموّكّن العسكري الذي احتفظ بنفوذه في الدولة. وقاد الكولونيل أسيمي غويتا مرة أخرى انقلاباً، ثانياً، ضد الرئيس نداو، احتجاجاً على تعديل وزارتيه الأخير، أقال فيه اثنين من القيادات العسكرية. وأصبح قائد الانقلاب رئيساً للسلطة الانتقالية، ورئيساً للدولة، بموجب قرار أصدرته المحكمة الدستورية في 27 أيار/ مايو 2021.

1 "Why are Military Coups Returning to Africa? *ADF Magazine*, 2/6/2023, accessed on 26/7/2023, at: bit.ly/45JMS7v

2 Emily Cole, "Five Things to Know About Mali's Coup," *The United States Institute of Peace*, 27/8/2020, accessed on 26/8/2023, at: bit.ly/45JzDnd

تكرر المشهد نفسه (أيضاً) في بوركينا فاسو التي شهدت انقلابين: الأول في آب/ أغسطس 2021، حيث قام المقدم بول هنري سانداوغو داميبا (41 عاماً) باحتجاز الرئيس المنتخب روش مارك كريستيان كابوري، وحمله مسؤولية الفشل الذريع في مواجهة حركات التمرد الجهادية، وشكّل مجلساً عسكرياً بقيادته لتوليّ الحكم. لكن، سرعان ما خسر هذا المجلس العسكري المحدث المزيد من الأراضي لمصلحة المتمردين، وتم إخراج المقدم سانداوغو داميبا من المشهد، في انقلاب ثانٍ، ليتسلّم السلطة بعده النقيب إبراهيم تراوري (34 عاماً)³.

عانت بوركينا فاسو طوال عقود حكم الجيش الفاسد والقمعي، ومع ذلك شهدت واحدة من أقوى الحركات الشعبية المطالبة بالديمقراطية في منطقة الساحل⁴. ويمثل تراوري نموذجاً فريداً من القادة الانقلابيين الجدد في الساحل؛ فهو يحظى بتأييد شعبي كبير، بسبب خطاباته الشعبوية، فضلاً عن صغر سنّه⁵. فخلال مشاركته في تموز/ يوليو الماضي في القمة الروسية - الأفريقية، ألقى خطبة لاقّت رواجاً كبيراً في بوركينا فاسو، وفي دول الجوار، تحدث فيها عن مواجهة بلاده «أكثر أشكال الاستعمار الجديد والامبريالية همجية وعنفاً»⁶.

شهدت غينيا بدورها انقلاباً في 5 أيلول/ سبتمبر 2021، بقيادة العقيد مامادي دومبوا (41 عاماً). واعتُبر هذا الانقلاب «امتداداً لتآكل الديمقراطية» في البلاد⁷، في ظل حكم استمر أحد عشر عاماً، للرئيس ألفا كوندي الذي أطاحه الجيش، عقب سيطرته على مفاصل الدولة، حيث أعلن العقيد دومبوا عن أن الرئيس المخلوع مسؤول عن الفساد المستشري وتجاهل حقوق الإنسان وسوء الإدارة الاقتصادية في ظل حكمه⁸.

وقد لاقى الانقلاب في جمهورية النيجر اهتماماً دولياً بسبب موقف فرنسا المتشدد منه، على عكس ما كانت عليه الحال مع جارات النيجر.

منذ استقلالها في عام 1960، مرّت النيجر بأربع تجارب من الحكم العسكري. وفي عام 2011، انطلق مسار التحول الديمقراطي بتنظيمها ثلاثة انتخابات، وهذا عائد إلى التزام الرئيس السابق محمدو إيوسفو بالمدة الدستورية، ليضع البلاد على سكة الديمقراطية. لم يكن الأمر بسيطاً، في بلد فُحاط بجيران يواجهون حركات تمرد وتطرف وانقلابات مسلحة. بعد عقد من التقدم المستقر نسبياً نحو الديمقراطية، استولى الحرس الرئاسي في تموز/ يوليو الماضي على السلطة، بقيادة الضابط عمر عبد الرحمن الذي برر العملية بتراجع الأمن في البلاد⁹.

جاءت آخر الانقلابات التي شهدتها منطقة غرب أفريقيا من الغابون بإعلان ضباط من الجيش يوم 30 آب/ أغسطس الاستيلاء على السلطة؛ فأُنهوا بذلك سيطرة عائلته بونغو المقربة من فرنسا على السلطة في البلاد، والتي استمرت منذ عهد الاستقلال (55 عاماً)¹⁰. ووضع قادة الانقلاب الرئيس المعزول علي بونغو قيد

3 "Burkina Faso Coup Leader Ibrahim Traore Named Transitional President," *France 24*, 15/10/2022, accessed on 26/8/2023, at: bit.ly/3OPFQal.

4 "Effectively Fighting Corruption Without Violence," The United States Institute of Peace, 30/8/2017, accessed on 26/8/2023, at: <https://ury1.com/ykmX5>

5 "Burkina Faso: Ibrahim Traoré Takes Office as President," *Atalaya*, 6/10/2022, accessed on 26/8/2023, at: <https://11nq.com/KJtn9>

6 "Burkina Faso President Accuse African Leaders of 'Beggary'," *Anadolu Agency*, 29/7/2023, accessed on 26/8/2023, at: <https://urx1.com/FIAsh>

7 "Guinea's Lesson for Strengthening Democracy: Use 'Peer Power'," The United States Institute of Peace, 9/12/2021, accessed on 26/8/2023, at: <https://11nq.com/A6YLk>

8 "Guinea President Conde Vows to Tackle Corruption During Third Term," *Reuters*, 15/12/2020, accessed on 26/8/2023, at: <https://11nq.com/ac1zf>

9 صحيح أن النيجر تواجه، مثل جيرانها، عنفاً من الجماعات المتطرفة العنيفة، بما في ذلك الفصائل التي لها صلات بجماعة بوكو حرام والدولة الإسلامية، لكن أظهرت التجربة في الدول المجاورة أن الحكم العسكري يفاقم مثل هذه الأزمات أيضاً.

10 "Gabon Coup Leaders Name General Brice Oligui Nguema as New Leader," *BBC*, 31/8/2023, accessed on 12/9/2023, at: <https://bbc.in/3sSI0ik>

«الإقامة الجبرية»، وأوقفوا ابنه نور الدين بتهمة الخيانة العظمى¹¹، وعينوا قائد الحرس الجمهوري الجنرال بريس أوليغي نغيما رئيساً مؤقتاً للمرحلة الانتقالية.

ويبدو أن تحرك الجيش لعزل الرئيس مرتبط بنتائج الانتخابات التي أعلنت قبل ساعات من وقوع الانقلاب، والتي فاز فيها الرئيس بونغو بولاية ثالثة، بنسبة 64.27 في المئة من الأصوات، بحسب ما أعلنته الهيئة الوطنية المكلفة إجراء الانتخابات. لكن المعارضة رفضت النتيجة بسبب خروقات شهدتها والتحيز الواضح للسلطة، كما احتجت على تعديل دستوري أجراه الرئيس يقضي بتنظيم الانتخابات الرئاسية في دورة واحدة بدلاً من دورتين، فاعتبرت هذا التعديل وسيلة «لتسهيل إعادة انتخابه»¹². ويبدو أن الجيش استفاد من هذا الاحتقان، لإطاحة الرئيس وإعلان إلغاء انتخابه وحل المؤسسات.

تتشارك تلك الدول الأفريقية التي شهدت انقلابات عسكرية ناجحة بالحدود الجغرافية، وتتطابق الاتهامات الموجهة إلى الحكومات المنتخبة ديمقراطياً، بالفشل الأمني والاقتصادي وتفشي الفساد: في كل من مالي وبوركينا فاسو وغينيا، ذكر الانقلابيون أن دوافعهم ترتبط بتدهور الأمن وانتشار الفساد، وأن الجيش يتحمل المسؤولية لإجراء تغيير في الحكم¹³. وتتشابه أيضاً بنية الدولة في تلك الحالات التي جرت فيها الانقلابات، من حيث هشاشة المؤسسات ونفوذ الجيش، فضلاً عن كونها دولاً لها تاريخ طويل من الاضطرابات السياسية والأمنية.

وفي مالي وغينيا والنيجر، تأثرت الجيوش بالضغوط الداخلية والخارجية. فقد تدخلت منظمات إقليمية، مثل الاتحاد الأفريقي ومجموعة الإيكواس في مالي، ورفضت فرنسا الانقلاب في غينيا، والنيجر بشكل أكثر حدة. ويصاحب ذلك تزايد فرص مرتزقة مجموعة فاغنر الروسية لاستغلال حال الفوضى والعنف المتنامي في المنطقة.

2. الانقلابات الدستورية

شهدت المنطقة نمطاً ثانياً من الانقلابات في السنوات الثلاث الأخيرة، وهو الانقلابات الدستورية التي تُعرف بأنها تغيير لنظام الحكم أو الحكومة بشكل غير دستوري، بغض النظر عن الجهة المنفذة له. وعادة ما يؤدي مثل هذا النوع من الانقلابات إلى إزاحة الحكومة الشرعية، أو أي مؤسسة دستورية أخرى واستبدالها بسلطة غير قانونية، وهذا يعني تجاوز الإرادة الشعبية والمؤسسات الديمقراطية¹⁴.

المثال الواضح لهذه الحالة، هو ما جرى في تونس، فقد قاد الرئيس التونسي قيس سعيّد، منذ منتصف عام 2021، حملة على المؤسسات الدستورية، حيث عطّل البرلمان ورفع حصانة النواب، وتولّى رئاسة النيابة العامة. وأزاح حكومة هشام المشيشي، وبدأ بتسيير شؤون الدولة بمراسيم، بانتظار اكتمال الخطوات الممهّدة لحل البرلمان. وفي 30 آذار/ مارس 2022 علّق الرئيس العمل بدستور عام 2014، وطرح دستوراً جديداً للاستفتاء، حيث نال قبول ما يقارب 92 في المئة من المشاركين فيه، الذين لم تتجاوز نسبتهم بحسب أرقام الهيئة العليا للانتخابات 27.54 في المئة، في حين شكّكت مؤسسات سير آراء في الرقم المعلن من الهيئة، مؤكدةً أن نسبة الإقبال كانت أقل¹⁵. ممن يحق لهم الإدلاء بأصواتهم. وبموجب هذا الدستور، حوّل النظام التونسي من نظام شبه رئاسي إلى نظام رئاسي كامل، ما أدى إلى إضعاف البرلمان وتشكيل

11 "Gabon Military Officers Declare Coup after Ali Bongo Wins Disputed Election," The Guardian, 30/8/2023, accessed on 12/9/2023, at: <https://bit.ly/465zWc5>

12 "Gabon's Military Coup has Overthrown a Powerful Political Dynasty. Here's What to Know," CCN, 31/8/2023, accessed on 12/9/2023, at: <https://cnn.it/3ZbJ6li>

13 "Niger coup: Are Military Takeovers on the Rise in Africa," Reuters, 28/7/2023, accessed on 26/8/2023, at: <https://urx1.com/q3sTv>

14 Nikolay Marinov & Hein Goemans, "Coups and Democracy," *British Journal of Political Science*, accessed on 26/8/2023, at: <https://urx1.com/kksLg>

15 "الاستفتاء على الدستور في تونس: السياق والنتائج والتداعيات"، *تقدير موقف*، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022/7/28، شوهد في 2023/9/4، <http://tinyurl.com/2b8m4rv2> في: <http://tinyurl.com/2b8m4rv2>

غرفة ثانية، تُعرف بـ «المجلس الوطني للجهات والأقاليم»، إلى جانب «مجلس نواب الشعب». وجرى انتخابات نيابية مبكرة، بناءً على قانون انتخاب جديد، وشهدت الانتخابات نسبة اقتراع منخفضة، حيث بلغت 11.2 في المئة في الجولة الأولى، ونسبة 11.4 في المئة في الجولة الثانية، نتيجة المقاطعة الشاملة لأحزاب المعارضة.¹⁶

الانقلاب الدستوري الآخر في المنطقة الأفريقية شهدته دولة تشاد، فقد سيطر الجنرال محمد ديبي (37 عامًا) مع كبار ضباط الجيش، في عام 2021، على مقاليد السلطة، بعد مقتل والده الرئيس السابق إدريس ديبي (الذي حكم ثلاثين عامًا) خلال المواجهات العسكرية مع إحدى فصائل المعارضة المسلحة. وكان ديبي الابن قد تولّى، قبل سيطرته على الحكم، منصب رئيس المجلس الانتقالي، وكان المسؤول الأول عن المرحلة الانتقالية التي ستدوم 18 شهرًا، على أن يعمل بعدها على تنظيم انتخابات رئاسية حرة. لكن العملية لم تنجح بسبب استفحال التدخلات الخارجية في البلاد، حيث حضرت الأجنحة الفرنسية والروسية¹⁷. بانقضاء المهلة، أعلن مؤتمر الحوار الوطني التشادي، في 8 تشرين الأول/أكتوبر 2022، تسمية الجنرال محمد إدريس ديبي، رئيسًا للمرحلة الانتقالية التي تستمر عامين إضافيين. وأدّت خطوة تمديد هذه المرحلة وتعيين ديبي رئيسًا إلى تصاعد حدة الرفض من قوى المعارضة المدنية والمسلحة، واعتبرت هذه الخطوة بمنزلة توريث للحكم في البلاد.

شهد السودان منذ استقلاله عام 1956 ستة انقلابات عسكرية، حكمت خلالها حكومات منتخبة لمدة 9 سنوات فقط، في حين سيطر الجيش على السلطة المتبقية (58 عامًا). في المقابل، شهد السودان في عام 2019 حركة احتجاجية دفعت ضباط الجيش للتحرك لإطاحة نظام عمر البشير (1989-2019)، والاصطفاف إلى جانب مطالب المدنيين في التحول نحو الديمقراطية، لكن الجيش أنهى بعد عامين هذه العملية الانتقالية. وقبل أقل من شهر على الموعد المحدد لتسليم الفريق أول عبد الفتاح البرهان قيادة المجلس الانتقالي الحاكم إلى شخصية مدنية، بموجب اتفاق تقاسم السلطة بين المدنيين والعسكريين¹⁸، خرج معلنًا انتهاء «شرعية التراضي» بين الجانبين، مبررًا ذلك بتحوّل التراضي إلى صراع «يهدّد أمن الوطن»¹⁹. لكن المؤسسة العسكرية واجهت بدورها انشقاقًا من «قوات الدعم السريع»، ما أدخل البلاد في صراع مسلح بين طرفي العسكر، أبعدتها عن مسار التحول الديمقراطي.

ثانيًا: نقاط الاختلاف والتشابه بين انقلابات الساحل

ينطوي كلٌّ من الانقلابات سالفه الذكر على شبكة من الدوافع والظروف الداخلية. فثمة اختلافات واضحة بين الحالات. مثلًا، في تشاد، تبدو الحالة كتوريث للحكم عبر انقلاب دستوري، بينما في النيجر يُعدّ الرئيس محمد بازوم زعيمًا منتخبًا من غالبية السكان. لكن من الواضح أيضًا أن جذور الانقلابات تكمن في إخفاقات الحكومات

16 "تونس: من انقلاب 25 تموز/ يوليو إلى الاستفتاء على تغيير الدستور"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تقرير رقم 6، آب/ أغسطس 2022، في: <https://l1nq.com/T1ROc>

17 "تاريخ من الحروب والصراعات: اتفاقية السلام التشادية في الدوحة النتائج والمآلات"، الجزيرة نت، 2022/8/8، شوهد في 2023/30/8، في: <https://ury1.com/4VeWe>

18 "اتفاق المرحلة الانتقالية في السودان: فرص النجاح والعقبات"، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019/8/22، شوهد في 2023/9/4، في: <http://tinyurl.com/3uhu86hs>

19 "مسار الأحداث في السودان منذ انقلاب 2021 وحتى تفجر الوضع العسكري"، دويتشه فيله، 2023/4/15، شوهد في 2023/30/8، في: <https://urx1.com/Qxlas>

في تلبية حاجات شعوبها في التنمية والأمن ومحاربة الفساد. كما أن كل انقلاب ناجح يبعث برسالة تشجع ضباطاً آخرين في دول الجوار للاستيلاء على السلطة.

وثمة أمران أساسيان يشتركان في هذه الانقلابات:

أولاً، ضعف أنظمة الحكم في تلك البلدان أو هشاشتها، فقد أدت قرون من السيطرة الاستعمارية في أفريقيا وأنظمة ما بعد الاستعمار إلى إنتاج نخب سياسية لا تُعبّر عن إرادة مواطنيها في الستين عامًا الماضية. قام بعض الدول الأفريقية، مثل غانا وبوتسوانا وموريشيوس ودول أخرى بإصلاح هيكل الحكم الاستعماري الخاصة بها، وتحويلها إلى ديمقراطيات تُلبّي حاجات مواطنيها. لكن الدول التي ضربتها الانقلابات تبقى في زمرة البلدان التي لا تزال القوة الحقيقية فيها مركّزة في يد نخب ضيقة، تجمعها قواسم مشتركة داخلية (إثنية، عرقية، ...) أو مرتبطة بالخارج.

حققت الدول الأفريقية تقدماً كبيراً نحو الديمقراطية في أعقاب الحرب الباردة. فقد أظهر «مؤشر إبراهيم» للحكومة في أفريقيا أن استجابة الحكومات الأفريقية للحاجات العامة قد تحسّن خلال العقدين الأول والثاني من القرن الحادي والعشرين. فوفقاً لنتائج هذا المؤشر، يُعدّ تقديم الخدمات الأساسية من الأمن إلى الغذاء مؤشراً مهماً للديمقراطية، مثل إجراء انتخابات حرة ونزيهة وشفافة²⁰. لكن حتى الديمقراطيات الأكثر رسوخاً، تكافح من أجل الحفاظ على الاستقرار في مواجهة انتشار المظالم، ولدى الديمقراطيات الأفريقية موارد أقل لمواجهة الأزمات: تعميق الفقر بالنسبة إلى الاقتصاد العالمي، والصراعات الجهوية والمناطقية، إضافة إلى تداعيات وباء كوفيد-19 الاقتصادية، والتدهور المناخي وتضرر القطاع الزراعي. ولم تتمكن الحكومات من حلّ النزاعات، وكثيراً ما لجأت قوات الأمن إلى العنف والقوة الفظة ضد المدنيين، ما ضاعف الغضب الشعبي ضدها.

ثانياً، ظهور جيل جديد من القادة الشعبويين الشباب؛ فأفريقيا قارة شابة، إذ إن ما يقرب من نصف السكان في مالي مثلاً تقل أعمارهم عن 14 عاماً²¹. وبالطبع، يطمح الشباب الأفارقة إلى وظائف أفضل وحكومات أكثر استجابة. البلدان التي تتصارع مع التطرف العنيف، الانقلابات العسكرية، هي تلك التي أدّت فيها النظم التعليمية والاقتصادات وهياكل السلطة إلى إضعاف فرص التقدم، وفشلت في تلبية آمال الشباب في بناء مستقبلهم. كما كان بعض شباب منطقة الساحل عرضة للتجنيد في أعمال العنف - سواء من خلال التمردات الجهوية أم الحركات الجهادية أم النظم العسكرية التي استولت على السلطة. ومعظم قادة الانقلاب في الساحل هم ضباط صغار السن، في الثلاثينيات والأربعينيات من العمر، ويدعمهم الشباب الأصغر سناً، من عسكريين ومدنيين.

أصبح الساحل الأفريقي بأكمله منطقة تخضع للحكم العسكري، ومنطقة مختلفة تماماً عما كانت عليه قبل عشر سنوات، وثمة ظروف داخلية تحرك هذه الانقلابات، سنُفصلها لاحقاً. لكن انخراط المجتمع الدولي في مواجهة التطرف العنيف في مالي، بمشاركة فرنسا والأمم المتحدة والولايات المتحدة، لم يؤدّ إلى بناء استقرار حقيقي²². على الرغم من إنفاق مليارات الدولارات هناك، وعبر المنطقة منذ ذلك الحين، فإن النهج الأجنبي لم يوقف النزعات المتطرفة أو حركات التمرد التي تتغذّى من يأس الناس من الحكم الذي لا يوفر مقومات الحياة الأساسية للمجتمعات. بل أدت إلى تحسين الكفاءة العسكرية للجيش وقوات الأمن فحسب في مواجهة التحديات الأمنية.

20 "2022 Ibrahim Index of African Governance Key Findings," Ibrahim Foundation, accessed on 26/8/2023, at: <https://urx1.com/1LVYS>

21 "The World Factbook- Mali," accessed on 26/8/2023, at: <https://ury1.com/Hf58p>

22 Isabelle King, "How France Failed Mali: the End of Operation Barkhane," *Harvard International Review*, 30/1/2023, accessed on 26/8/2023, at: <https://ury1.com/sApSf>

ثالثاً: الأسباب الداخلية للانقلابات: حالة النيجر أنموذجاً

كانت موجة التحول الديمقراطي التي انتشرت في أفريقيا في التسعينيات، على غرار أوروبا الشرقية بعد نهاية الحرب الباردة (1989)، محدودة الوقع والأثر؛ إذ عجزت عن ترسيخ جذور الديمقراطية في أفريقيا، بعدما سقطت دول عدة في قبضة دكتاتوريات، مدنية وعسكرية²³.

ما حدث في النيجر حلقة جديدة في مسلسل طويل من الصراع بين التوجهات الديمقراطية والاستبداد في القارة الأفريقية، فتولّى الرئيس محمد بازوم الحكم في 2 نيسان/ أبريل 2021، عبر صناديق الاقتراع، شكّل منعطفاً في التاريخ السياسي للبلاد، باعتباره أول محطة للتداول السلمي على السلطة، منذ استقلال النيجر عن الاستعمار الفرنسي في عام 1960. لكن هذا المسار لم يستمر، فاختارت قوات الحرس الرئاسي المعروفة باسم «قوات النخبة» التدخل لإنهائه، بقرار عزل الرئيس المنتخب والسيطرة على الحكم.

أدت عوامل داخلية عديدة دوراً رئيساً في انقلاب النيجر؛ أبرزها تغير موازين القوى داخل النظام السياسي وتعميدات تركيبة النسيج الاجتماعي في النيجر، فضلاً عن تأزم الوضع الاقتصادي بارتفاع ديون الحكومة، في غضون ثلاث سنوات، من ستة مليارات دولار إلى أكثر من تسعة مليارات في العام الحالي، وتذيّل قائمة الدول في مؤشر التنمية البشرية (189 عالمياً)، وانحدار أكثر من نصف السكان تحت خط الفقر، فضلاً عن المعضلة الأمنية المستفحلة في الدول المجاورة (خصوصاً مالي وبوركينا فاسو).

تنتشر الانقلابات في منطقة الساحل، لكنها في النيجر ظاهرة مألوفة، فقبل أداء اليمين الدستورية، تعرّض الرئيس بازوم لمحاولة انقلابية في 31 آذار/ مارس 2021. أعقبها أخرى، بعد حوالي سنة، حين كان في زيارة رسمية إلى تركيا. ثم جاء انقلاب تموز/ يوليو 2023، ليحسم الصراع الصامت على النفوذ في دوائر السلطة، بعدما وجد الرئيس نفسه وجهاً لوجه مع أكثر من جهة داخل النظام، في سعيه لممارسة صلاحياته الدستورية²⁴.

حاول الرئيس المعزول إضعاف الحرس القديم، بتنفيذه حملة «تطهير» تدريجية في أجهزة الدولة، عمل خلالها على تقليص نفوذ سلفه؛ محمد إيسوفو، في الحزب (الاشتراكي الديمقراطي) والرئاسة (2011-2021). فعينّ عبده صديقو عيسى في نيسان/ أبريل 2023، قائد أركان جديداً خلفاً للجنرال ساليفو مودي، وراجت أبناء عن عزمه إعفاء رئيس الحرس الرئاسي وزعيم الانقلاب، الجنرال المخضرم عبد الرحمن تشياني؛ أكثر الضباط ولاء للزعيم إيسوفو الذي اعتبره كثيرون أداته، غير المباشرة، لإخضاع الرئيس الجديد وتطويعه.

رأت جهات داخل الدولة في مساعي الرئيس محمد بازوم محاولة لبناء مراكز نفوذ جديدة داخل النظام، بعيداً عن موازين القوى القائمة. وزادت شكوك المناوئين للرجل، بعد إعلانه رفع عدد المجندين، ما أثبت لديهم فرضية توسيع نفوذه، بإضعاف الأجنحة الموالية للرئيس السابق. هكذا حاول محمد بازوم فرض وقائع جديدة، تُفند ما راج من تكهّنات تحصر دوره في أنه مجرد واجهة لسلفه محمد إيسوفو.

تباينت الطروحات بعد تولي بازوم السلطة، باسم الحزب الاشتراكي الديمقراطي؛ حزب محمد إيسوفو، فتحدث مراقبون عن لعبة تبادل الأدوار بين الرجلين، أو البقاء في الحكم بالوكالة²⁵. خاصة أن المؤشرات الإثنية والعرقية لا تخدم طموح الرجل²⁶، المنحدر من قبيلة أولاد سليمان العربية التي تمثل أقلية في النيجر؛ إذ لا تتجاوز نسبة

23 للمزيد ينظر:

Baher Hussein, "The Uneven Wave of Democratization in Africa in the 1990s," accessed on 26/8/2023, at: <https://bit.ly/3sDyorm>

24 كان تمرد بازوم على النظام القديم سبباً وراء تعطيل الإعلان عن حكومته لأكثر من سبعة أشهر، بعد أدائه اليمين الدستورية في نيسان/ أبريل 2021.

25 للمزيد ينظر: صغير الحيدري، "من هو محمد بازوم الذي يواجه انقلاباً في النيجر؟"، *إندبندنت عربية*، 2023/7/27، في: <https://ury1.com/Ycz29>

26 يتميز النسيج الاجتماعي بالتنوع العرقي والقبلي في النيجر (طوارق، تبو، فولاني، الزرما، الهوسا...)، وتحظى التركيبة الاجتماعية بدور مركزي في المشهد السياسي، حتى وإن كان الساسة لا يعترفون بذلك علناً حتى لا تهتز صورة الديمقراطية في البلد، على غرار عدد من الأقطار الأفريقية، حيث شاع الحديث عن "الديمقراطية العرقية".

1 في المئة من مجموع السكان، عكس انتماء محمد إيسوفو إلى إثنية الهاوسا التي تمثل الغالبية (أكثر من 50 في المئة)²⁷؛ ما يعني أن قيادة الحزب والترشح للانتخابات الرئاسية، ثم كسبها لاحقًا، أمور ما كانت لتحدث لولا موافقة محمد إيسوفو؛ الحاضر الغائب عن المشهد السياسي في النيجر.

بذلك يكون صراع النخب في مؤسسات الدولة (الجيش والإدارة والأحزاب ...)، ممزوجة بمعطى الحساسة الإثنية (الصراع العرقي)، أداة مناسبة لفهم ديناميات الانقلاب في النيجر، فالمحاكمة العرقية وطموح رجال السياسة والجيش ومصالحهم، فاعلان محوريان في وأد التجربة الديمقراطية الوليدة في البلد.

رابعًا: سياقات التنافس الدولي لانقلابات الساحل

تعد عودة الانقلابات إلى منطقة الساحل، وإلى أكثر من رقعة في أفريقيا - بعد أن اعتقد الجميع أنها أضحت جزءًا من الماضي - دليلًا على مركزية القارة الأفريقية في الصراع الدولي المحتدم بين معسكر غربي قديم (باريس)، يعمل جاهدًا على ضمان الثبات والاستقرار لإدامة الاستفادة والاستغلال، ومعسكر جديد (بيجين/ موسكو) يقدم نفسه بديلًا من الآخرين، بما يعرضه من وعود للشراكة والتنمية والازدهار.

قبل وقوع الانقلاب، كانت نيامي، وهي آخر الشركاء الاستراتيجيين الرئيسيين لفرنسا في منطقة الساحل، الوجهة البديلة للقوات الفرنسية المشاركة في عملية برخان، بعد مغادرتها مالي في آب/ أغسطس 2022، فضلًا عن رهان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الكبير عليها، لإعادة صوغ استراتيجية فرنسا في منطقة الساحل²⁸.

تتعدى رهانات باريس على نيامي الجانب العسكري نحو البحث عن شرعية جديدة، تعتمد التركيز على المدخل التنموي، قصد تسويق صورتها في منطقة غرب أفريقيا. فقد التزمت وكالة التنمية الفرنسية AFD باستثمار نحو 100 مليون يورو لدعم عدد من المشاريع التنموية في المنطقة على شكل قروض²⁹.

كما تمثل النيجر نقطة استراتيجية مهمة لواشنطن وعدد من العواصم الأوروبية الأخرى، باحتضانها قواعد عسكرية غربية، تتوزع ما بين 3 قواعد فرنسية، وقاعدتين أميركيتين، ومراكز تدريب للقوات الأجنبية (ألمانيا وإيطاليا وكندا ...)، تشارك في تدريب القوات الخاصة في النيجر³⁰. فتموقع البلد بين الساحل وشمال أفريقيا وغربها، وضعه في مدار صراع مزدوج ضد الجماعات المتطرفة النشيطة في الصحراء الكبرى، وضد النفوذ الروسي المتعاطف في أكثر من دولة في المنطقة (أفريقيا الوسطى ومالي وبوركينا فاسو ...).

تبقى فرنسا المتضرر الأكبر مما يجري في النيجر، فنيامي رابع عاصمة تخسرها، بسبب انقلاب عسكري خلال أربع سنوات، في غرب أفريقيا، حيث تنتشر موجة عداة شعبي، غير مسبوقة، ضد كل ما هو فرنسي. ويتزامن الحدث مع ما تعانيه باريس من اختناق اقتصادي، بلغ ذروته في تبني سياسات لترشيد الطاقة مع الانقطاعات المتكررة في التيار الكهربائي. والمفارقة أن إنتاج اليورانيوم وتعدينه في النيجر، التي يمثل نسبة 7 في

27 ينتمي كثيرون من القادة السياسيين والعسكريين إلى إثنية الهاوسا المنتشرة في جنوب شرق البلاد، بمن فيهم عبد الرحمن تشياني قائد الانقلاب تحت ذريعة "استعادة الأمن والاستقرار" في نيامي، بعد اتخاذ الرئيس المخلوع قرارًا يقضي بإعفائه، في اجتماع لمجلس الوزراء، في 24 تموز/ يوليو 2023، ورئيس "المجلس الوطني لحماية الوطن" حاليًا.

28 يذكر أن أول انقلاب في النيجر على الرئيس ديوري حماني (1960-1974) صنع بأيد فرنسية، وكان نتيجة احتدام الخلاف السياسي الاقتصادي بين الطرفين، بسبب سعر الامتياز، في مقابل استغلال اليورانيوم في المناجم في منطقة أكاديز شمال النيجر، حيث تحتكر الشركة الفرنسية La SOMAIR الاستخراج والتعدين منذ عام 1971.

29 تأتي النيجر في المركز الثاني ضمن قائمة زبائن الوكالة الفرنسية للتنمية بعد دولة السنغال.

30 يذكر أن وزير الخارجية التركي السابق مولود تشاووش وأوغلو، خلال زيارة النيجر في تموز/ يوليو 2020، بحث مع صناع القرار في النيجر إمكانية إنشاء قاعدة عسكرية تركية قرب الحدود مع ليبيا، وراجت أنباء أخرى عن تقدم دولة الإمارات العربية المتحدة بطلب مماثل.

المئة من الإنتاج العالمي، يساهم في إضاءة مصباح من كل ثلاثة مصابيح كهربائية في فرنسا، بينما يخيم الظلام في أنحاء واسعة من مدن النيجر وقراها³¹.

تحول التعاطي الأميركي الحذر مع الانقلاب عكس الاستعجال الفرنسي بالتهديد ببدء تدخل عسكري³²، ولاحقاً بدفع مجموعة الإيكواس وتشجيعها على استخدام القوة لإعادة الرئيس المخلوع إلى منصبه³³، إلى إضعاف الثقة بين واشنطن وباريس³⁴. ففي أوج التحريض الفرنسي ضد الانقلاب في نيامي، دخلت الإدارة الأميركية على خط الأزمة بإيفاد فيكتوريا نولاند؛ نائب وزير الخارجية، لإجراء محادثات مع كبار مسؤولي المجلس العسكري، انتهت بإعلان انحياز الولايات المتحدة إلى حل دبلوماسي، ما قلص حظوظ التدخل العسكري³⁵. وكانت تلك أولى المؤشرات على أن البيت الأبيض غير قلق بشأن التغيير في النيجر.

وتعد روسيا أبرز الرابحين من انقلاب النيجر، إلى درجة أن مراقبين وصفوا ما جرى بـ «انقلاب داخلي بنكهة روسية»³⁶. فمجريات الأحداث تصبّ في مصلحة موسكو التي تخوض حرباً ناعمة، وأحياناً خشنة، منذ سنوات عدة ضد باريس، بشأن إعادة اقتسام النفوذ في القارة الأفريقية.

خامساً: ظهور روسيا والصين كلاعبين دوليين في الساحل

تعمل روسيا منذ سنوات على توسيع نفوذها في المنطقة، مستعينة بخطاب الواقعية السياسية ولغة المصالح³⁷. فموسكو المتطلعة إلى المساهمة في تشكيل نظام عالمي جديد، تستغل تنامي موجة من السخط والاحتقان ضد سياسات الغرب (الأمنية والتنموية ...) الفاشلة في القارة.

سجّلت روسيا حضورها بقوة في مناطق عدة في القارة الأفريقية، بدءاً بالوسط في أفريقيا الوسطى، ثم شمال القارة في ليبيا، وتعمل حالياً على تعزيز نفوذها في منطقة الساحل التي تكسب مكانة جيوسياسية بفضل ثرواتها المعدنية الهائلة، فعبد كل من مالي وبوركينا فاسو وغينيا، حان دور النيجر لتضاف إلى قائمة المنقلبين على محور باريس - واشنطن. قد لا يُعبّر قادة الانقلاب صراحة عن الانحياز إلى روسيا، لكن إزاحة حلفاء رئيسين لباريس من السلطة، يبقى مكسباً كبيراً بالنسبة إلى موسكو التي تعتمد سياسة النأي بالنفس عن الشؤون الداخلية للبلدان، مرفقة بعروض للقادة الجدد في مجالات السلاح والأمن والغذاء³⁸.

تسير الصين، حليف روسيا، على النهج ذاته، فهي أكبر مستثمر أجنبي في العمق الأفريقي. وكانت صاحبة السبق في اقتحام المنطقة باستثمارها الناجح في استخراج النفط السوداني نهاية القرن الماضي؛ ما شكل حافزاً دفعها إلى التوغل في تشاد والنيجر حتى باتت مسيطرة على سوق النفط في منطقة الساحل.

31 "The World Bank in Niger," accessed on 26/8/2023, at: <https://11nq.com/endlO>

32 ترأس الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في 29 تموز/ يوليو 2023 اجتماعاً لمجلس الدفاع والأمن القومي لبحث موضوع الانقلاب في النيجر، أفضى إلى تعليق الدعم الفرنسي ووقف المساعدات التنموية كلها للنيجر.

33 منحت مجموعة الإيكواس في أعقاب اجتماعها الطارئ حول الانقلاب في النيجر، في 30 تموز/ يوليو 2023، مهلة أسبوع لقادة الجيش لإعادة الرئيس محمد بازوم إلى منصبه، لكن التصعيد سرعان ما تراجع، في ثاني اجتماع للمجموعة، لمصلحة إعطاء "الأولوية للمفاوضات الدبلوماسية والحوار"، مع التلويح بإمكانية نشر قوة احتياطية.

34 "France, U.S. Relations Grow Tense over Niger Coup," *Politico*, 8/18/2023, accessed on 26/8/2023, at: <https://11nq.com/U1TVq>

35 كان اختلاف المواقف من الانقلاب واضحاً منذ حدوثه، فواشنطن تعاملت مع الأحداث بأسلوب مسك العصا من الوسط، مع إبداء مرونة وانفتاح على قادة الانقلاب؛ إذ نفت وجود أي علاقة لروسيا بالعملية الانقلابية. وهذا عكس ما تروّجه باريس، في استغلال واضح للروسوفوبيا المنتشرة في الأوساط الغربية، بسبب الحرب في أوكرانيا.

36 "The Coup in Niger is about Power. Russia Will Exploit it," *The Atlantic*, 8/8/2023, accessed on 26/8/2023, at: <https://urx1.com/jjcsN>

37 اقتصر الحضور الروسي في القارة الأفريقية في زمن الحرب الباردة على دول المعسكر الاشتراكي، فكانت لموسكو علاقات خاصة مع أنغولا وموزمبيق وأثيوبيا، وفي الشمال مع كل من مصر والجزائر وليبيا.

38 وفق تقارير معهد استوكهولم الدولي للسلام، كانت روسيا مصدر 44 في المئة من الأسلحة التي جرى بيعها إلى الدول الأفريقية ما بين عامي 2017 و2021.

سادساً: مستقبل المنطقة في ظل تكرار الانقلابات العسكرية

شهدت المنطقة أكثر من انقلاب عسكري في السنوات الأخيرة³⁹، مرت غالبيتها في هدوء تام ومن دون ضجيج. خلاف الاهتمام الغربي اللافت بشأن انقلاب النيجر، فإنقاذ «الديمقراطية النيجرية» بتدخل عسكري؛ تحت مظلة أممية أو منظمة إقليمية، بات خياراً مطروحاً على الطاولة، من دون أدنى اعتبار لكلفته.

فبعد أكثر من شهر على الانقلاب، وبعد أكثر من محاولة لإعادة الرئيس المخلوع إلى منصبه، لا تزال مجموعة الإيكواس تلوح بالخيار العسكري ضد حكام النيجر الجدد، على الرغم من مسارعة «المجلس الوطني لحماية الوطن» إلى إشراك المدنيين في السلطة، بتعيين رئيس وزراء تكنوقراط على رأس حكومة من 21 وزيراً، احتفظ فيها المجلس لنفسه بحقيقتي الدفاع والداخلية. لكن الإيكواس أعلنت على لسان عبد الفتاح موسى؛ مفوض الشؤون السياسية والسلام والأمن في المجموعة، عن رفض خطة المجلس العسكري⁴⁰.

يصطدم خيار التدخل العسكري للإيكواس بأكثر من عائق؛ في مقدمها تباين مواقف الدول الأعضاء بشأن استخدام القوة لإعادة الرئيس بازوم إلى السلطة⁴¹. فضلاً عن عدم امتلاك دول غرب أفريقيا قدرات عسكرية كافية لتحقيق حسم سريع في حال قررت التدخل عسكرياً، ما يحتم الاستعانة بدعم خارجي، علاوة على افتقار المجموعة تجربة تدخل عسكري حقيقي سابقة، يمكن النسخ على منوالها عند التعاطي مع متغيرات الوضع في النيجر⁴².

ويطرح التهديد باستخدام القوة في النيجر أسئلةً مهمة، وذلك مقارنةً بانقلابي مالي وبوركينا فاسو، حيث اكتفت المجموعة بقائمة تقليدية من الإجراءات، من قبيل: تعليق العضوية فيها، وفرض عقوبات اقتصادية وتجارية، مع إعطاء مهلة لقادة الانقلاب للعودة إلى المسار الديمقراطي في الحكم.

يظهر أن قيادة الإيكواس تسرعت قبل القراءة المتأنية للأبعاد الجيوسياسية للأزمة، وربما حتى قبل القيام بما يكفي من مشاورات، بعد إطلاق التهديد بالتدخل العسكري، أملاً في وقف عدوى الانقلابات في المنطقة. في المقابل، حاول المجلس العسكري امتصاص ردات الفعل على الصعيدين الداخلي والخارجي من خلال تشكيل الحكومة، تحييد دول عدة، الوساطة والحوار وغير ذلك).

يكشف تعاقب الانقلابات عن أن منطقة الساحل أضحت مدار صراع دولي بين الأقطاب الكبرى في العالم؛ فالإلى جانب المعسكرين القديم بقيادة واشنطن وباريس، والجديد بزعامة موسكو وبيجين، ظهر معسكر ناشئ (الهند وتركيا وإيران) يبحث لنفسه عن موطن قدم في المنطقة. يحاول كل محور جاهداً التغلغل عن طريق إيجاد حلفاء يمثلونه محلياً، وأنصار يخدمون أجندته، ويدافعون عن مصالحه داخل هذه الدولة أو تلك⁴³.

المنطقة بلا شك سائرة في طريق التحول إلى ساحة تنافس لعالم متعدد الأقطاب، على الرغم من الطابع المحلي لهذه النزاعات؛ أي صراعات داخلية في الحكم في الدولة الواحدة. فالغرب، وعلى وجه التحديد

39 يُعدّ الانقلاب في النيجر سابع انقلاب يشهده غرب أفريقيا ووسطها خلال السنوات الثلاث الأخيرة.

40 كشف رئيس المجلس العسكري الجنرال عبد الرحمن تسياني عن معالم المرحلة الانتقالية في خطاب تلفزيوني حدد فيه أجلاً أقصاه ثلاث سنوات للانتقال إلى الحكم المدني في البلاد، كما وعد بحوار وطني في غضون 30 يوماً لوضع مقترحات ملموسة لإرساء أسس حياة دستورية جديدة.

41 بلغ التباين بهذا الخصوص مستوى تهديد قادة كل من مالي وبوركينا فاسو؛ العضوين البارزين في المجموعة، بالقتال إلى جانب الجيش النيجري متى حدث تدخل عسكري في النيجر، فضلاً عن مواقف أخرى رافضة العمل العسكري من دول خارج المجموعة، وهي تحديداً: تشاد وموريتانيا والجزائر.

42 كانت معظم التدخلات العسكرية لمجموعة الإيكواس في التسعينيات؛ في الحرب الأهلية الليبيرية أو في سيراليون لإعادة الرئيس تيجان كاباه، ارتبط أساساً بدولة نيجيريا التي كان رئيسها آنذاك إبراهيم بابنجيدا (1985-1993) يبحث عن زعامة المنطقة، فكان يحمل تكلفة العملية. وبقى تدخل عام 2017 في غامبيا لإطاحة الرئيس يحيى جامع الذي رفض التنحي بعد خسارة الانتخابات استثناء غير قابل للاستنساخ، لكثرة الفوارق بين البلدين (الموقع، المساحة...).

43 عززت المنطقة المعروفة بالغاز الطبيعي والذهب والمعادن النفيسة من موقعها الاستراتيجي مع اتساع نطاق الاكتشافات النفطية التي تبشر بمخزون وفير في كل من تشاد والنيجر، ومالي وموريتانيا والسنغال. فالنيجر مثلاً تُصدر نحو 20 ألف برميل يومياً، مع توقعات بارتفاع الإنتاج إلى أكثر من 200 ألف برميل مع انتهاء خط الأنابيب الصيني العملاق الناقل للنفط من وسط البلاد نحو ميناء كوتونو في بنين، بحلول عام 2025.

واشنطن، حريص على تجاوز الصورة السيئة للاستعمار الفرنسي في المنطقة، ما يفرض بالضرورة وجوب تكيف استراتيجيته مع الحقائق السياسية على مسرح الأحداث، متى رغبت في استثمار فراغ الانسحاب الفرنسي⁴⁴.

روسيا، وقبلها الصين، مع اختلاف بين في السلوك، عازمتان على تسجيل حضور قوي في منطقة تتجه، لأكثر من سبب، إلى اكتساب مكانة جيوسياسية في العالم. وما انحياز الحكام الجدد في مالي وبوركينا فاسو، سيراً على خطى أفريقيا الوسطى، إلى تحالف موسكو سوى دليل على أن أفريقيا ستكون طرفاً في مساعي تشكيل عالم جديد. لكن موسكو، وإضافة إلى معطى البعد الجغرافي، لا تملك الكثير لتقدمه لاقتصادات الدول الأفريقية. فضلاً عن عجزها البين في إحداث فارق، فالتمردون يسيطرون على شمال مالي ونصف بوركينا فاسو، ما يعني أن منطقة الساحل وغرب أفريقيا ستكون عرضة للتفتت والفوضى.

خاتمة

تبقى منطقة الساحل منطقة متغيرة ومتقلبة سياسياً وأمنياً، ويلف مستقبلها الغموض بشأن التحول الديمقراطي، في ظل تصاعد التنافس الدولي الذي بات المحرك الأول في تشكيل مسار المنطقة ومستقبلها. ويبقى التحدي في التوفيق بين المصالح الجيوسياسية للقوى العالمية وطموحات شعوب المنطقة في الاستقرار والتنمية والديمقراطية. وكما أثبتت ذلك تجارب كثيرة، يبقى السعي للحفاظ على استقرار المنطقة من دون تحقيق تنمية مستدامة تمهّد إلى انتقال ديمقراطي حقيقي يحجّم دور العسكر في العملية السياسية، مجرد دوران في حلقة مفرغة.

44 تنظر أميركا إلى المنطقة بعيون استراتيجية واقتصادية، فامتدادها عند المحيط الأطلسي يجعلها أقرب إلى الشاطئ الشرقي الأميركي، ما يعني الحصول على خام جيد وقريب جغرافياً، مقارنة مع النفط القادم من الشرق الأوسط.